

مستون: دورية أكاديمية محكمة تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

جامعة سعيدة – الدكتور مولاي الطاهر

المجلد: 19، العدد: 01، تاريخ النشر: 30 مارس 2026

ISSN : 1112-8518 EISSN : 2600-6200

تأثير النمو السكاني على التوسع العمراني للمدينة الموريتانية: حالة
مدينة بوتلميت (موريتانيا)

**The Impact of Population Growth on Urban
Expansion in Mauritanian Cities:
The Case of Boutilimit (Mauritania)**

د/ محمد الأمين عابدين

جامعة نواكشوط، مجموعة البحث حول المجال الموريتاني والتحوللات الاقتصادية
والاجتماعية، موريتانيا

Med.lemine.abidine1989@gmail.com

ORCID iD Link: <https://orcid.org/0009-0001-6764-8712>

تاريخ الاستقبال: 2026/02/14 تاريخ القبول: 2026/03/16 تاريخ النشر: 2026/03/30

ملخص:

يعالج هذا المقال إشكالا بالغ الأهمية يتعلق بنمو مدينة شهدت تحولات في مجالها الحضري نتيجة النمو السكاني السريع الذي عرفته هذه المدينة، حيث تظهر المعطيات العامة للسكان والمساكن 1977، 1988، 2000، 2013، و2023 أن المدينة عرفت نموا ديمغرافيا كبيرا فاق كل التوقعات؛ وهو ما جعل حجم المدينة ومساحتها يزداد بشكل كبير، فتوسّعت المدينة توسعا عمرانيا غير منظم تطبعه العشوائية.

وقد تأزّم مجال مدينة بوتلميت، وتفاقت أزمته بتضخم عدد السكان، فظهرت عديد المشكلات المتمثلة بجلاء في مجال السكن العشوائي والتمدد الفوضوي للمجال الحضري وانعدام مخطط للمدينة واضح المعالم، وغياب بنى تحتية أساسية في مجال الصرف الصحي، إضافة إلى مشكلات الضغط على المرافق العمومية وتزايد أعداد

المؤلف المرسل

العاطلين ومشكلة النفائات والترمل المتفاقم؛ وهو ما يفرض على مختلف الفاعلين الترابيين التدخل من أجل بناء استراتيجية تنموية شمولية ومتناسقة تتجاوز الإكراهات والإخفاقات السابقة.

الكلمات المفتاحية: النمو السكاني؛ التوسع العمراني؛ المدينة؛ الدينامية؛ بوتلميت.

Abstract:

This article addresses a critical issue concerning the growth of a city that has undergone significant urban transformations due to rapid population growth. General population and housing data from 1977, 1988, 2000, 2013, and 2023 indicate that Boutilimit has experienced unprecedented demographic growth, surpassing all projections. As a result, the city's size and spatial footprint have expanded significantly, leading to unregulated and chaotic urban sprawl.

The urban space of Boutilimit has been severely impacted by this population surge, exacerbating a range of challenges. These include the proliferation of informal housing, uncontrolled urban expansion, the absence of a well-defined urban development plan, and a lack of essential infrastructure, particularly in sanitation. Additionally, the city faces mounting pressure on public services, rising unemployment, escalating waste management issues, and worsening urban poverty. These challenges necessitate immediate intervention from territorial stakeholders to develop a comprehensive and coherent development strategy that addresses past constraints and failures.

Keywords: Population Growth; Urban Expansion; City; Urban Dynamics; Boutilimit.

مقدمة:

تعد حركية التمدين التي تشهدها موريتانيا، شأنها في ذلك شأن معظم الدول النامية، ظاهرة ديمغرافية في الأساس، حيث أن حركية السكان وما ينتج عنها من أشكال استغلال الأرض وتباين أنماط التعمير وتحول في الوظائف والأنشطة، تخضع لعوامل متداخلة ومتراكبة وتباين من مجال إلى مجال بأبعاد وأشكال مختلفة طبعت المدن وتحولات عميقة وأكدت توجه غالبية السكان إلى الاستقرار بالمدن بطريقة انتشارية وبوتيرة متسارعة.

تأثير النمو السكاني على التوسع العمراني للمدينة الموريتانية:

حالة مدينة بوتلميت (موريتانيا)

وفي هذا السياق، فقد ارتبطت دينامية التوسع العمراني بموريتانيا بالأزمة المناخية العنيفة التي عرفها المجال الريفي خلال العقود الأربعة الماضية، حيث صيرت هذه الأزمة المناخية الوسط الريفي فضاء طاردا للسكان بشكل كبير، في الوقت الذي شكلت فيه المدينة مركز جذب لساكنة المجالات الريفية، وهو ما جعل أعداد المدن وأحجامها ومساحتها تزداد بشكل كبير نظرا لأمواج المهاجرين الذين توافدوا عليها من الأرياف من جهة، ونظرا كذلك للزيادة الطبيعية المرتفعة من جهة ثانية.

وقد حدثت كل هذه التغيرات دون أن تكون الهيئته الحضرية قد عرفت طريقها إلى المراكز الحضرية؛ مما أضاف تعقيدات جديدة إلى واقعها الأصلي الذي لم يضع أصحابه في الحسبان انعكاسات النمو الحضري على السكان وتوزيعهم عبر المجال.

وشهدت مدينة بوتلميت على غرار المدن الموريتانية تطورا ديمغرافيا ونموا حضريا متسارعا بسبب حركة الهجرة من جهة والزيادة الطبيعية للساكنة المحلية من جهة أخرى، وقد أدت هذه الوضعية إلى إنتاج مجال حضري غير منظم تطبعه العشوائية والفوضوية والارتجالية؛ نظرا لأن الزيادة السريعة التي عرفها السكان لم تصاحبها زيادة في نسبة ما يتوفر من بنى وخدمات ظلت ضئيلة منذ نشأة المدينة، ويضاف إلى ذلك أن موضع المدينة لم يكن ملائما للتعمير إلا بعد استصلاح مكلف لم يشرع فيه بعد.

*** إشكالية الدراسة**

عرفت مدينة بوتلميت مجموعة من التحولات الاجتماعية والاقتصادية، أسهمت فيها عدة عوامل أهمها الجفاف وتراجع نصيب الفرد من المجال الريفي من الاستثمارات العمومية؛ وهو ما جعل هذه المدينة قبلة للسكان الذين توافدوا عليها من مختلف جهات الوطن دون أن تهيأ لاستيعاب هؤلاء المهاجرين؛ مما نجمت عنه تحديات مختلفة على مستوى مدينة بوتلميت.

وانطلاقاً من ذلك، فإن مدينة بوتلميت تعاني من تحديات عديدة، نظراً لضعف تدخلات الدولة وضعف الإمكانيات المرصودة لهذا المجال، ومن هنا تبرز الإشكالية الرئيسية لهذا المقال، والتي يمكن صياغتها من خلال السؤالين الإشكاليين التاليين:

- كيف أسهم النمو السكاني في التوسع العمراني لمدينة بوتلميت؟

- ما هي مراحل التوسع العمراني التي شهدتها مدينة بوتلميت؟

* فرضيات الدراسة

تعد الفرضية من أهم عناصر البحث العلمي؛ حيث تقدم مجموعة من التوقعات التي تقدّم تفسيرات مؤقتة لإشكالية البحث، ومن أجل الإجابة على الإشكالية الرئيسية انطلقنا من الفرضيتين التاليتين:

- أدى النمو السكاني الذي عرفته مدينة بوتلميت إلى توسعها العمراني؛

- نجمت زيادة السكان الكبيرة عن الزيادة الطبيعية، وكان لها أثرها البالغ على التوسع العمراني السريع التي شهدته مدينة بوتلميت.

* منهجية الدراسة

تختلف المناهج المتبعة في الدراسات الجغرافية والمعايير الاستمولوجية التي تتأسس عليها، باختلاف الظاهرة أو الظواهر المعالجة، وقد نجم عن هذا الاختلاف من جهة، تعدد المناهج العلمية ومن جهة أخرى تنوع الخطوات والتقنيات التي تُوظف في المراحل المختلفة من البحث؛ حيث اعتمد في جمع المعطيات المتعلقة بالبحث على طرق مختلفة، أبرزها: العمل البيبليوغرافي، والعمل الميداني.

وبما أن لكل دراسة مناهجها الخاصة بها، فإن هذه الدراسة ستتم من خلال الاعتماد على المنهج العلمي الوصفي والتحليلي؛ الذي يستخدم في الغالب مقاربات جغرافية تهتم بالعلاقة بين الظواهر وتوزيعها المجالي وتطورها وتأثير بعضها على بعض، وكذلك الاهتمام بالبنى والأشكال التي تتخذها تلك الظواهر

تأثير النمو السكاني على التوسع العمراني للمدينة الموريتانية:

حالة مدينة بوتلميت (موريتانيا)

في ظروف معينة. كما سيكون للمقاربات التاريخية والكمية والاجتماعية والاقتصادية حضور في مواقع مختلفة من هذا العمل.

* المفاهيم المؤطرة للبحث

تعد مرحلة تحديد المفاهيم من أهم مراحل البحث العلمي، والهدف منها تحديد المفاهيم المهيكلية للبحث تجنُّبا لأي التباس في الفهم، وسنقتصر على دراسة المفاهيم التالية: النمو السكاني، التوسع العمراني، المدينة.

- النمو السكاني: تحدّد الولادات والوفيات والهجرة زيادة السكان أو نقصانهم، ويسمى الفارق بين عدد الولادات وعدد الوفيات الزيادة الطبيعية (البيب، 2003، ص71).

- التوسع العمراني: توسع المدُن على حساب الأرياف القريبة منها استجابة للتدفق السكاني وللحاجيات من السكن والخدمات الأساسية، وهو ما يؤدي إلى تمدين المناطق الريفية وزيادة كثافتها السكانية (محمدين، 2023، ص22).

- المدينة: يعد مفهوم المدينة (الهيقي، 2002، ص28) من المفاهيم المعقدة؛ نظرا لتعدد التخصصات التي تناولت هذا المفهوم، لكنها تكاد تجمع على أن المدينة ارتبطت نشأتها باستقرار الإنسان، وعكس نموها وتطورها أسلوبه في العيش وطريقته في الحياة وعلاقته بالآخرين؛ وهذا ما يجعل المدينة من خلال وظيفتها ونشاطها تتجاوز كونها مجالا عمرانيا لتصبح كائنا اجتماعيا متفاعلا (سعيدوني، 2009، ص7).

في هذا السياق فقد عرّف ابن خلدون في مقدمته المدينة بأنها: "من منازع الحضارة التي يدعو إليها الترف والدعة". وفي اللغة فإن المدينة من الاستقرار، مدن: أقام، غير أن القرية من الاستقرار كما يقول عبد الله عطوي، ثم إن الأساس اللغوي للتمييز ما بين المدينة والريف لا يصلح لتحديد مصطلح المدينة بالنسبة للريف (إسماعيل، 1985، ص14).

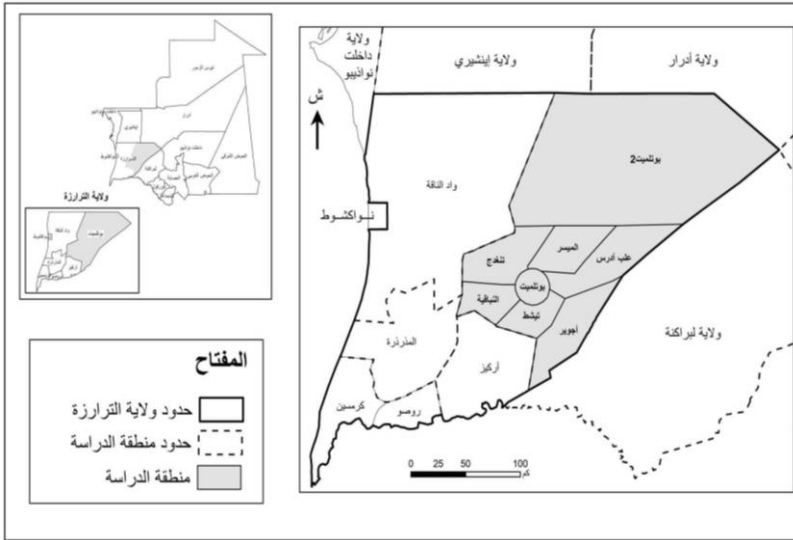
كما يعرف علي لبيب وآخرون في قاموس الجغرافيا المدينة بأنها: "تجمع عمراني، مهيكل ومتجانس، يكون جماعيا مكونا وحدة حشرية، تكثر وتتنظم فيه

المباني والمسالك، كما تزدهم فيه الحركة والأنشطة الحضرية كالتجارة والصناعة والخدمات الأخرى.

1. تقديم مجال الدراسة

تشمل الدراسة المجال البوتلميتي؛ الذي يحتل الجزء الجنوبي الغربي من موريتانيا، ويقع من الناحية الفلكية بين دائرتي عرض 17° و 23° شمالا وبين خطي طول 13° و 23° غربا، تحده من الشرق ولاية البراكنة، ومن الجنوب والغرب الغربي مقاطعتا اركيز والمندردة، ومن الشمال الشرقي ولاية آدرار، ومن الغرب مقاطعة واد الناقفة. تصل مساحة هذا المجال إلى 28400 كلم²؛ أي ما تزيد نسبته على 41% من المساحة الكلية للترارزة البالغة 67800 كلم².

الخريطة (1): موقع مدينة بوتلميت ضمن المجال الموريتاني



المصدر: إنجاز شخصي 2024 اعتمادا على التقسيم الإداري.

1. مظاهر النمو السكاني في مدينة بوتلميت

إن التوسع الذي شهدته مدينة بوتلميت ناتج عن زيادة السكان بسبب النمو السكاني، حيث يحتاج هؤلاء السكان إلى أرض لتلبية حاجياتهم من الخدمات المختلفة سكنية وخدمية؛ لذا يستفاد من التعدادات السكانية لمعرفة ذلك من

تأثير النمو السكاني على التوسع العمراني للمدينة الموريتانية:

حالة مدينة بوتلميت (موريتانيا)

خلال إجراء المقارنة بين تلك التعدادات التي تجرّيها الدولة الموريتانية كل عشر سنوات؛ نظرا لأنها تحدد نسبة الزيادة السكانية بين كل فترتين متتاليتين. وسنلقي نظرة في هذا المحور على التطورات السكانية التي شهدتها المجال المبحوث من أجل معرفة تأثير النمو السكاني على التوسع العمراني السريع الذي تعرفه مدينة بوتلميت.

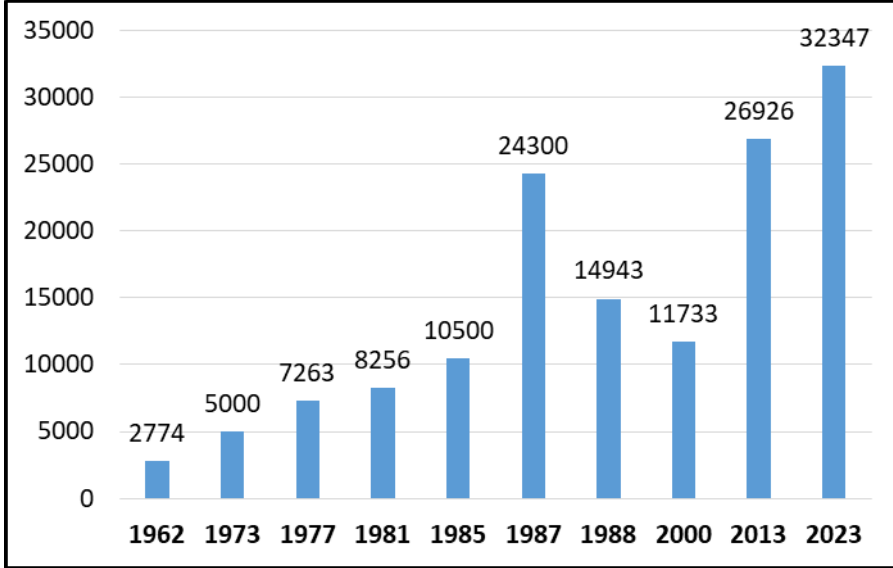
ينعكس النمو الديمغرافي لأي مدينة على الدينامية العمرانية والتوسع المجالي، وهو ما يفرض وضع استراتيجية توازن مجالي تساعد على تلبية حاجيات السكان وتحد من أزمة السكن وغيرها من المشاكل التي تعاني منها معظم المدن (محمد، 2001، ص 25).

لا تمدنا الوثائق بمعلومات يمكن الركون إليها عن عدد سكان بوتلميت ما قبل دخول المحتل الفرنسي إلى المجال، ذلك أن المعطيات الإحصائية في هذا المجال تكاد تكون معدومة، وتشير التقديرات إلى أن عدد السكان كان قليلا في تلك الفترة؛ نظرا لانعدام التجهيزات، وعدم توفر وسائل العيش.

وقد تزايد عدد السكان في الفترة ما بعد دخول المحتل الفرنسي نتيجة استتباب الأمن في المنطقة؛ مما سمح بإقامة تنمية حيوانية حسّنت من ظروف عيش الساكنة، وقد وصل سكان بوتلميت حسب تقديرات 1912-1913م إلى 27334 نسمة.

بالرجوع إلى الإحصاءات العامة للسكان والمساكن التي أجرتها موريتانيا، نجد أن سكان مدينة بوتلميت شهدوا زيادة معتبرة منذ قيام الدولة الوليدة بسبب تشييد بعض البنيات التحتية (مدارس، مستوصف، علاوة على المباني الإدارية: مبنى الدرك، والحرس، والشرطة)؛ حيث انتقل السكان في إحصاء 1977 من 7263 إلى 14943 سنة 1988، لكنهم شهدوا تراجعاً في إحصاء 2000 حيث وصلوا إلى 11733 في حين أنهم عرفوا زيادة معتبرة في الإحصاءين الأخيرين للسكان والمساكن حيث انتقل عددهم من 26926 نسمة في إحصاء 2013 ليصل 32347 نسمة سنة 2023.

الشكل (1): تطور عدد السكان بمدينة بوتلميت ما بين 1962 و2023



المصدر: تجميع الباحث بناءً على معطيات المكتب الوطني للإحصاء، الإحصاءات العامة للسكان والمساكن (1977، 1988، 2000، 2013، و2023).

إن استقراء سريعا لمعطيات الشكل أعلاه يظهر أن سكان المدينة ظلوا، بشكل عام، في تطور عددي ملحوظ، حيث انتقل عدد السكان في إحصاء 1977 من 7263 إلى 14943 سنة 1988، لكنهم شهدوا تراجعاً في إحصاء 2000 حيث وصلوا إلى 11733، في حين أنهم عرفوا زيادة معتبرة في الإحصاءين الأخير للسكان والمساكن؛ حيث انتقل عددهم في إحصاء 2013 من 26926 نسمة إلى 32347 نسمة سنة 2023؛ وتُعزى تلك الزيادة إلى التحسن النسبي على مستوى الظروف المعيشية الناجم عن التحسن الذي شهدته الظروف الطبيعية، علاوة على أن المدينة عرفت تشييد بعض البنى التحتية الصحية؛ وهو ما كان له كبير الأثر على انتعاش حجم السكان.

كما يبرز هذا الشكل (رقم 1) أيضاً أن المدينة شهدت نمواً ديمغرافياً كبيراً، فخلال أربعة عقود تضاعف عدد السكان عدة مرات بمعدل زيادة سنوية بلغت

تأثير النمو السكاني على التوسع العمراني للمدينة الموريتانية:

حالة مدينة بوتلميت (موريتانيا)

2,9% بين 1962 و 2023، وهو معدل نمو ديمغرافي مكن المدينة من مضاعفة عدد سكانها خلال مدة زمنية قصيرة.

وفي هذا السياق فإنه إذا عدنا إلى سنة 1977 نجد أن ساكنة مدينة بوتلميت بلغت 7263 نسمة، بمعدل زيادة سنوية تصل إلى 0,09% فيما بين 1962 و 1977.

تواصلت الزيادة السريعة لتصل ساكنة المدينة 14943 نسمة سنة 1988؛ وكان معدل الزيادة في المدة الأخيرة 0,71% (بين 1977 و 1988)، وهو ما يمكن من مضاعفة عدد السكان كل عشر سنوات. وعلى الرغم من أن الزيادة السنوية قد انخفضت من 0,09% فيما بين 1962 و 1977 إلى 0,71% بين سنتي 1977 و 1988 فإن الزيادة المطلقة قد ارتفعت ارتفاعا بينا خلال الفترة الأخيرة، حيث بلغ متوسط الزيادة السنوية بالأرقام المطلقة بين 1977 و 1988 مثلي أمثال ما كان عليه بين 1961 و 1977.

أما إحصاء 2000، فقد أبرز أن ساكنة المدينة وصلت إلى 11733، وكان متوسط الزيادة السنوية بين 1988 و 2000 قد بلغ 0,02%، وهو ما يمثل تراجعاً كبيراً في الزيادة السنوية النسبية ونقصاً هاماً في الزيادة المطلقة.

غير أن هذا التراجع لم يطل أمده، فمع موقف سنة 2013 وصل عدد سكان مدينة بوتلميت 26926 نسمة بزيادة سنوية تبلغ 0,08%، وبمتوسط زيادة مطلقة تبلغ 15193 نسمة سنوياً، ومن الواضح أن هذين الرقمين يبرزان عودة زيادة ساكنة المدينة إلى وتأثير الزيادة السريعة التي عرفتتها منذ نشأتها، فمعدل زيادة سنوية تبلغ 0,08%، يمكن المدينة من مضاعفة عدد سكانها خلال عشر سنوات، أما الزيادة المطلقة التي شهدتها المدينة في السنوات التالية لسنة 2000 فتعد من أكبر زيادة عرفتتها ساكنة المدينة خلال العقود الخمسة الماضية.

II. مراحل التوسع العمراني لمدينة بوتلميت

سننتبع في هذه الجزئية من هذا العمل مراحل توسع مدينة بوتلميت بغية التعرف على الدينامية المجالية الحثيثة التي عرفتتها هذه المدينة.

1- من البئر إلى القلعة

بحسب المراجع التاريخية وبعض الروايات الشفهية فإن الشيخ سيدي الكبير لما قديم من حضرة أهل الشيخ سيدي المختار الكنتي بأزواد وبعد استقراره في قومه، أولاد أبييري، حوالي 1826 أو 1827م وتولّيه تدبير أمورهم كشيوخ عام، همّ بحفر بئر تكون نقطة نزود دائم بالماء للقوافل القادمة من "شمامه" والمتوجهة إلى "أمشتيل" و"أوكار"، فاستدعى شخصية مسنة ومُلمة بقضايا النزاعات على الأرض ونقاط المياه الموجودة في المنطقة، وهو الفقيه الجليل عبد الجليل ولد الناه وطلب منه أن يدلّه على موضع لا يدّعيه أحد ولم يتقدم له أي إحياء بأوجه من أوجه الإحياء المعروفة عند الفقهاء من أي كان، فدّلّه على موقع بوتلميت الحالي، فشرع تلاميذ الشيخ سيدي بالحفر في الوادي المذكور؛ الذي كان يسمى واد الفيلة (المصطف، 2017، ص200).

ولم تعتمد نشأة مدينة بوتلميت على سكان موجودين في المكان، نظرا لأن المجال كان مجالا رعويا انتجاعيا من الشمال إلى الجنوب ومن الجنوب إلى الشمال (رحلة الشتاء والصيف العادية)، وبالتالي عندما حدث الاستقرار واستمر في العهد الاستعماري بدأت مجموعات ليست من السكان الأصليين لبوتلميت بمعنى انتسابي قبلي، لكنها مجموعة ارتبطت بقيام الإدارة الفرنسية، وقد شكلت هذه المجموعة النواة الثانية (الطارئة)، وليست لحواش القديمة التي تعتبر النواة الأولى لمدينة بوتلميت، والتي سيتراجع دورها وستحل محلها النواة الثانية "الدينكة" (العريش)؛ ولا يعني هذا انعداما كلياً للنواة الأولى للمدينة (لحواش)، حيث أنها ظلت زمنا طويلا موجودة في المدينة، ولكن يعني انتقال الدور الأساسي لهذه النواة فقط مفسحة المجال للنواة الثانية التي ستتشكل عليها لاحقا المدينة مع مطلع القرن العشرين؛ الذي ستشهد المدينة منذ منتصفه دينامية سريعة بسبب الاستعمار الفرنسي وما شيدته من مرافق في مدينة بوتلميت.

ولا نجانب الصواب إذا قلنا إن مدينة بوتلميت نشأت من المهاجرين، نظرا لأن من قديم على الشيخ سيدي لم يكن موجودا عند التأسيس عكس بعض المدن

تأثير النمو السكاني على التوسع العمراني للمدينة الموريتانية:

حالة مدينة بوتلميت (موريتانيا)

التي كان يوجد بها سكان أصليون وأنشئت مستقرات كان هم سكانها الأصليين، وهذا لم يقع في مدينة بوتلميت التي أنشئت في مجال رعوي مفتوح كما ذكرنا آنفا. وبسبب تأسيس الشيخ سيدي لحضرته التي تعتبر أول حاضرة في الجنوب الموريتاني ذات أبعاد صوفية، فقد أصبحت مدينة بوتلميت معلمة وقبلة لأعداد معتبرة قادمة من شتى أنحاء موريتانيا.

وفي هذا السياق، فقد شهدت المدينة هجرة انتقائية تمثلت في وفود رموز دينية وسياسية بعضهم كانت هجرته مؤقتة وبعضهم استوطن مدينة بوتلميت. عموما، فقد ظلت هنالك هجرات انتقائية شملت مجموعة من القبائل سواء تلك التي وفدت في عهد الشيخ سيدي أو التي وفدت مع الشيخ سيدي باب إبان قدومه من آدرار. وقد ساهمت هذه الأسر بشكل ملحوظ مع الوقت في تغيير خريطة بوتلميت الاجتماعية والديموغرافية؛ ذلك أنها زادت من عدد سكان المدينة التي لم تكن حينها إلا قرية صغيرة يسكنها عدد قليل من السكان.

2- من القلعة إلى العاصمة الموريتانية

في شهر أغسطس سنة 1904م كلف كبولاني النقيب "كالاه" (Kaland) بإنشاء مركز بوتلميت لحماية الشيخ سيدي ووُكلت تلك الحماية لجزء من الحماية التي كانت عند "سهوت الماء".

ثم ما لبث "گزافي كبولاني" أن وصل إلى بوتلميت قادما من جهة الركيز وتحديدا "سهوة الماء" ومعه عدد من العساكر والأمراء والأعيان وقام بوضع الحجر الأساس للحماية العسكرية التي ستكون في مدينة بوتلميت (الرائد، 2007، ص133).

وفي هذا السياق، فقد جاء من بعد كبولاني النقيب "افيرير جاه" ومكث مدة في بوتلميت وشرع في بناء الدُّور التي تقع أطلالها على الكتيب "الغربي"، وتعد هذه الدور ثاني دار بعد دار الشيخ سيدي التي شيدها بعد حفره لبئر بوتلميت، وقد بُنيت هذه الدور من الطين وكانت طبقات و"ابلوكات"، وقد كان يسمون تلك الدور التي بناها المحتل الفرنسي بدور النصراري أي الفرنسيين. وهكذا، عمل

الشيخ سيدي باب على جعل مدينة بوتلميت (القرية حينها) حاضرة ومركزا للثقافة العربية في البلد خلال تلك الفترة؛ حيث مثلت المحاضرة في هذه المدينة عنصر استقطاب وجذب هامين لطلاب المحاضر، الذين غالبا ما يستقر العديد منهم في هذه المدينة.

عموما، فقد ساندت السلطات الفرنسية النهج الذي انتهجه الشيخ سيدي باب في تنمية مدينة بوتلميت، حيث شيدت بعض المنشآت، لاحقا، كالمستوصف الصحي الصغير الذي بنته ابتداءً من سنة 1930، والمدارس الابتدائية التي بدأت مع مطلع القرن العشرين؛ وقد مثلت المرافق التي بناها الفرنسيون النواة الحضرية الأولى لمدينة بوتلميت، التي ستعرف مع نهاية الخمسينات وبداية الستينات دينامية مجالية حيثة.

3- من العاصمة الموريتانية إلى اليوم

لقد أصبحت مدينة بوتلميت، بحكم نشأتها الثقافية، عاصمة لموريتانيا مع مطلع القرن 20، حيث كان للإشعاع الثقافي (المحظري) الذي بُنيَتْ على أساسه دور كبير في تطورها واستمرارها وتطعيمها بأعداد من السكان خاصة في بيئة طبيعية قاسية تنسم بشح الموارد؛ وهو ما ساهم في نمو وتوسع مدينة بوتلميت؛ التي كان للزاوية الصوفية فيها حضور قوي بارز مكن من انتشار التعليم التقليدي (المحظري) الذي يستقطب العديد من طلاب المحاضر المحليين أو القادمين من دول مختلفة أحيانا.

وهكذا، فقد شُيّدت مدينة بوتلميت، كما ذكرنا آنفا سنة 1826 أو 1827م، على يد الشيخ سيدي الكبير، وبدأت تنمو في عهد حفيده الشيخ سيدي باب، كما عرفت توسعا ملحوظا في حقبة الشيخ عبد الله بن الشيخ سيدي باب؛ الذي وقع اتفاقيات صلح مع المحتل الفرنسي، كان من نتائجها: بناء الفرنسيين أول مدرسة للتعليم النظامي في المجال الموريتاني عامة وبوتلميت خاصة، والمتمثلة في المدرسة رقم 1 التي بُنيَتْ سنة 1914م، وقد تخرّج من هذه المدرسة عدد كبير من أعيان موريتانيا ومعظم جيل التأسيس من بينهم: مؤسس الدولة الموريتانية

تأثير النمو السكاني على التوسع العمراني للمدينة الموريتانية:

حالة مدينة بوتلميت (موريتانيا)

الرئيس المختار ولد داداه وحمدي ولد مكناس، والشيخ ولد محمد لغظف.. وغيرهم من الشخصيات التي أشرفت على تأسيس الجمهورية الإسلامية الموريتانية.

كما بنى الفرنسيون في مدينة بوتلميت أول مدرسة للبنات في موريتانيا، والتي تسمى حاليا بـ "مدرسة بوتلميت رقم 3. ومع مطلع 1955م أسّس الفرنسيون بالتعاون مع السيد عبد الله بن الشيخ سيدي باب المعهد الوطني للدراسات الإسلامية العليا ببوتلميت، وقد أشرف الرئيس الفرنسي السابق "شارل ديغول" على تدشين هذا المعهد سنة 1957م أثناء زيارته لموريتانيا. وقد انتدب للتدريس في المعهد خيرة أساتذة المنطقة، ولم تمر سنتان حتى أقبل الطلبة من المحيط القريب ثم من مناطق موريتانيا المختلفة ومن الأقاليم الإفريقية المجاورة حتى اكتظ المعهد بالطلاب الوافدين؛ فبحلول منتصف ديسمبر 1953 كان عدد طلاب المعهد 32 طالبا من بينهم اثنان من غينيا بيساو وسينغاليان والبقية موريتانيون، وفي سنة 1954 بلغ عدد الطلاب بالمعهد 45 من ضمنهم بعض الغامبيين والغينيين، ولم تطلع سنة 1957 حتى بلغ عدد طلاب المعهد 305 طالبا. وقد تمكن هذا المعهد منذ إنشائه في منتصف خمسينيات القرن الماضي من تخرج دفعات كبيرة من الأطر النوعية في كل المجالات التخصصية ومن كل جهات ومناطق الوطن استطاعوا بسهولة دخول الحياة النشطة، وساهموا في بناء وتطوير الدولة الموريتانية، وتقلد الكثيرون منهم مناصب سامية.

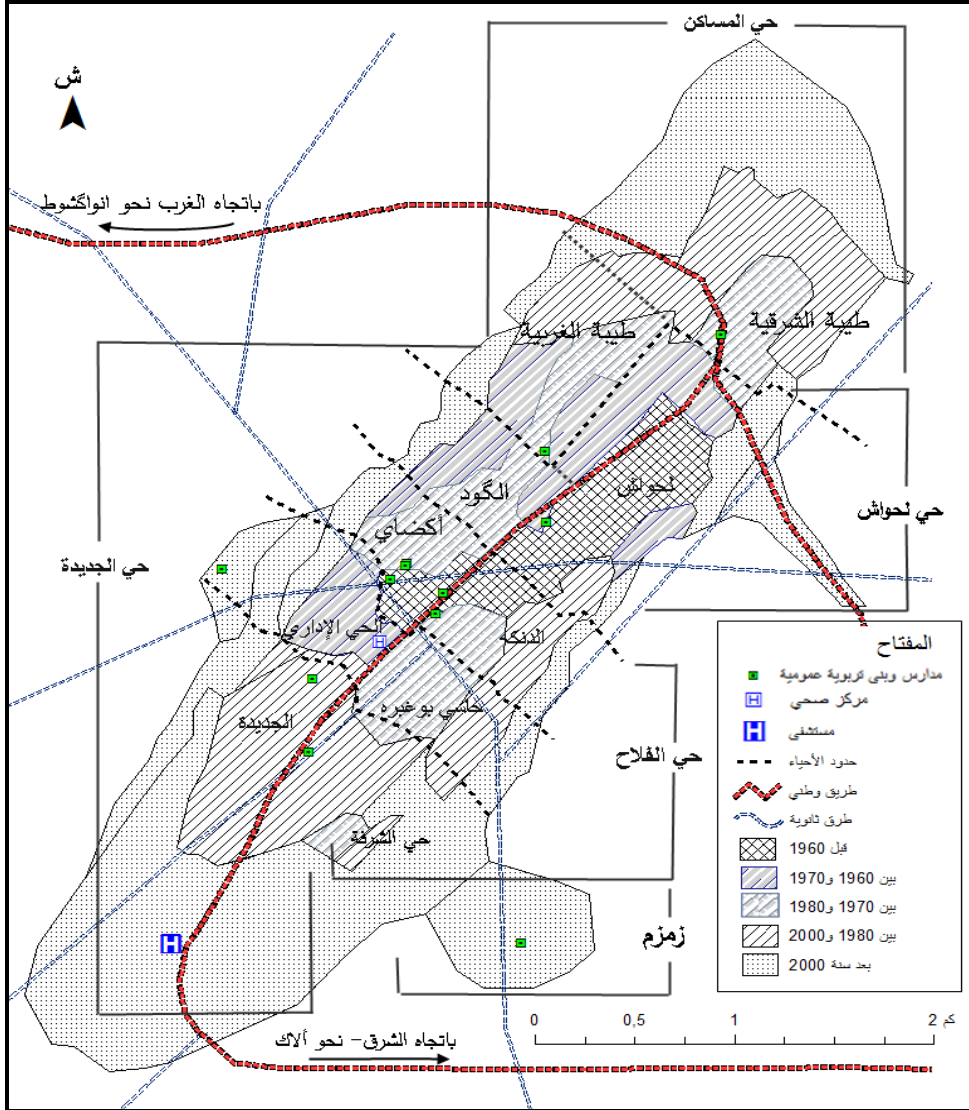
وهكذا، فقد عرفت مدينة بوتلميت توسعا مجاليا ملحوظا بسبب هذه الظروف وما نجم عنها من جاذبية للسكان، وهو ما أدى إلى اتساع الأحياء القديمة فيها، وظهور أحياء جديدة. عموما، تضم مدينة بوتلميت في الوقت الحالي أربعة أحياء سكنية كبيرة (المامي، 2013، ص208)، تمتد على طول طريق الأمل؛ الذي يشكل الحيز المجالي لهذه المدينة (الخريطة: 2)، وهذه الأحياء هي:

- * حي الجديدة: يضم "أكطاي" الذي توجد به بعض المباني القديمة للإدارة الفرنسية، علاوة على الحي الإداري الذي يفصله "شارع الإبل" عن باقي حي الجديدة، ثم إن هذا الحي يضم "حسي شداد".
- * حي المساكن: يتكوّن من حي "طيبة الغري"، وحي "الغود"، ويتفرع عنه حي المدرسة رقم 3، وحي "بصي"، وحي المدرسة رقم 2، وحي "دار البركة"، وحي "الباطن".
- * حي لحواش: يتكون من حي "أهل الشيخ سيدي"، وحي "أحواش المربط"، وحي "طيبة الشرقي".
- * حي الفلاح: يشمل حي "الدنكه"، وحي "أحواش الشرفه"، وحي "حاسي بوغبره".
- * حي زمزم القديم: يفصل هذا الحي بين المدينة والسهل المرتفع.

تأثير النمو السكاني على التوسع العمراني للمدينة الموريتانية:

حالة مدينة بوتلميت (موريتانيا)

خريطة (2): أحياء مدينة بوتلميت ومراحل توسعها المجالي



المصدر: من عمل الباحث اعتمادا على مصادر متنوعة، منها: صورة جوية لغوغل إرث، علاوة على محمد المامي ولد محمد عبد الله، 2013، حركية التمدين وانعكاساتها على المجال والمجتمع في ولاية الترارة (موريتانيا)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، المغرب، ص: 210.

إجمالاً، فإن المتتبع لظهور هذه الأحياء ومراحل توسعها يجد أن الغالبية منها ظهرت بعد حصول البلاد على الاستقلال؛ حيث أن المدينة كانت في تلك الفترة تتكوّن من مبانٍ قليلة، كما يلاحظ أن الاتجاه الشمالي والجنوبي هما الاتجاهان اللذان تتوسع فيهما المدينة، نظراً لأن المدينة تقع في منطقة بيكتيبية تعرف محلياً بـ "الغود"، فهي من الشرق والغرب مكفوفة بكثبان رملية كبيرة ما تزال عصابة على الاستغلال لأغراض السكن، ومما ساهم في اتجاه النمو المذكور في تينك الاتجاهين وجود طريق الأمل المعبد، لما يرتبط به من سهولة عملية النقل في هذين الاتجاهين.

خاتمة

شهدت مدينة بوتلميت توسعاً مجالياً ملحوظاً نتيجة لأموّاج المهاجرين الذين وفدوا عليها من الأرياف، ونتيجة أيضاً للزيادة الطبيعية المرتفعة، وكان ذلك المحصلة الطبيعية لتضافر عوامل الطرد في الريف وعوامل الجذب في المدينة. وفي هذا السياق فقد أظهر استقراء المعطيات التي أمدتنا بها الإحصاءات العامة للسكان والمساكن أن سكان المدينة ظلوا، بشكل عام، في تطور عددي ملحوظ، حيث انتقل عددهم في إحصاء 1977 من 7263 إلى 32347 نسمة سنة 2023؛ وتُعزى تلك الزيادة إلى التحسن النسبي على مستوى الظروف المعيشية الناجم عن التحسن الذي شهدته الظروف الطبيعية، علاوة على أن المدينة عرفت تشييد بعض البنى الخدمية الصحية؛ وهو ما كان له كبير الأثر على انتعاش حجم السكان.

كما تبرز المعطيات الإحصائية أيضاً أن المدينة عرفت نمواً ديمغرافياً كبيراً، فخلال أربعة عقود تضاعف عدد السكان عدة مرات بمعدل زيادة سنوية بلغت 2,9% بين 1962 و2023، وهو معدل نمو ديمغرافي مكّن المدينة من مضاعفة عدد سكانها خلال مدة زمنية قصيرة.

وهكذا نمّت مدينة بوتلميت نمواً ديمغرافياً فاق كل التوقعات، وهو ما أدى إلى دينامية التوسع العمراني الذي عرفته هذه المدينة؛ حيث تضم المدينة حالياً

تأثير النمو السكاني على التوسع العمراني للمدينة الموريتانية:

حالة مدينة بوتلميت (موريتانيا)

أربعة حياء سكنية كبيرة تمتد على طول طريق الأمل الذي يمثل الحيز الجغرافي لهذه المدينة، والمتتبع لظهور هذه الأحياء ومراحل توسعها يجد أن الغالبية منها ظهرت بعد حصول البلاد على الاستقلال.

وقد تأزّم فضاء المدينة، واتسعت أزمتهما بتضخم عدد سكانها، فظهرت عديد المشكلات المتمثلة بجلاء في مجال السكن العشوائي والتمدد الفوضوي للمجال الحضري وانعدام مخطط للمدينة واضح المعالم، وغياب بنى تحتية أساسية في مجال الصرف الصحي، إضافة إلى مشكلات الضغط على المرافق العمومية وتزايد أعداد العاطلين ومشكلة النفايات والترمل المتفاقم.

إن المشاريع التي نُفذت من طرف الفاعلين على مستوى مدينة بوتلميت لمكافحة التحديات التي عانت منها المدينة منذ نشأتها ورافقت التحولات المجالية التي عرفتها، لم تفلح في الحد من هذه التحديات؛ وهو ما يتطلب إشراك السكان في عملية تهيئة وتنمية مدينة بوتلميت من أجل بناء استراتيجية شمولية ومتناسقة تتجاوز الإكراهات والإخفاقات السابقة؛ ومكافحة زحف الرمال على المدينة حتى يتسنى لها الامتداد في جميع الاتجاهات؛ وجلب الاستثمارات للمدينة خاصة المشاريع الداعمة للتنمية من أجل خلق فرص جديدة للعمل.

قائمة المراجع

- أحمد علي، إسماعيل، "دراسات في جغرافية المدن"، درا الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الثالثة، 1975.
- المكتب الوطني للإحصاء، الإحصاءات العامة للسكان والمساكن 1977، 1988، 2000، 2013، و2023، موريتانيا.
- المصطف، أحمد، "المقاومة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي في منطقة بوتلميت من 1854 إلى 1932"، مطبعة المنار، موريتانيا، الطبعة الأولى، 2017.
- الهييتي، صبري فارس، 2002، "جغرافية المدن"، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2017.

- الحاج، محمدو، "الأحياء العشوائية بمقاطعة عرفات نواكشوط"، بحث لنيل شهادة الماستر، جامعة شعيب الدكالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجديدة، المغرب، 2001.
- جولييه الرائد، "التوغل في موريتانيا، اكتشافات، غزو" (تعريب محمدن ولد حمينا)، دار الضياء، الكويت، الطبعة الأولى، 2007.
- سعيدوني، ناصر الدين، "المدينة تفاعل اجتماعي وتفاعل حضاري"، مجلة عالم الفكر، العدد 2، المجلد 38، 2009.
- ليبب، علي، "جغرافية السكان: الثابت والمتحول"، الطبعة 2، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، 2003.
- محمدن، محمد الأمين، "الديناميكية الحضرية لمدينة بوتلميت وعلاقاتها مع ظهيرها"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، موريتانيا، 2023.
- محمد عبد الله، محمد المامي، "حركية التمدين وانعكاساتها على المجال والمجتمع في ولاية الترارزة (موريتانيا)"، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، جامعة القاضي عياض، المغرب، 2013.